

كيف نحكم على الأشياء ؟ !

نتيجة لاختلافهم البين في الرغبات والمشارب ، والأهواء والمطالب . ومثل هذه الحادثة التي قدمتها في صدر هذه الكلمة يجب أن تهدينا وتنير لنا السبيل حتى تجنبنا الأخطاء في الأحكام التي نصدرها من حين إلى حين على الأشخاص أو المبادئ أو الآراء . . .

من الواجب على الإنسان إذا أراد أن يحكم على أمر من الأمور ، أو مسألة من المسائل ، أن يتأنى ويتريث ، فلا يعجل ويسارع بالحكم عليها ، بل يطيل التأمل فيها ، ودراستها من شتى نواحيها ، والنظر إلى جهاتها المختلفة ، لأن هذه الدراسة تفتق ذهن الإنسان وتوسع معارفه من جهة ، وتجعل حكمه أقرب إلى الدقة والصواب من جهة أخرى . ويجب على الإنسان حينما يصدر حكماً من الأحكام في موضوع من الموضوعات ، وخاصة إذا كان الموضوع خطيراً جليلاً متشعب النواحي والأطراف ، أن لا يصدره في لهجة المطمئن الواثق ، أو في عبارة المتحدي ، أو في أسلوب الجزم واليقين الذي لا يقبل التعديل أو التبديل . بل الأحسن والأجدر به والأضمن له أن يصدر حكمه في عبارة تفيد الظن والترجيح ، أو التفضيل والتقديم ، وفي اللغة من أمثال هذه العبارات والألفاظ ما لو استعمله الإنسان لجنبه الكثير من العثرات ؛ ولن يضير الإنسان في الغد من هذا الحكم شيء ، لأن الأيام إذا أثبتت رأيه وأكدت ظنه كانت أشبه بمن يزكي تفكيره وتأويله ، وإذا جد في الموضوع ما يخالف نظريته وفكرته ، لم يلق من اللوم والعتاب شيئاً ذابال فقد احتاط لنفسه ، وأخذ الحذر ! كذلك من الواجب على الإنسان أن يقتصد في تخطيطه غيره من الناس ، فقد يكون لهم وجهات نظر أخرى ، وقد يكونون على علم لم يصل إليك ، أو لم تقف عليه ، فلتقبل أحكام غيرك برزانة وتدبر ، لاتسارع بالرفض والإعراض ، كما لاتسارع بالقبول والتسليم ، بل تنظر وتقدر ، وتتعقل وتتبصر ؛ فالعقل الإنساني مهما قيل في قدرته محدودة قاصر ، وخطوات التعليم في الحياة تفسح له الطريق .

أحمد الشرباصي

المدرس بمعهد القاهرة الثانوي



فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي

حدثني أحد أصدقائي قال : لي شقيقة ريفية تصغرني بسنوات ، وقد تزوجت منذ أمد بعيد ، وتطلعت عينها إلى الذرية العزيرة الغالية ، وخاصة في الريف فلم يكتب لها

الله العليم الحكيم شيئاً منها ، وعلى الرغم من أن جميع صوحيحاتها قد رزقن الذرية الكشيرة أو القليلة من البنين والبنات ، بقيت هي تنتظر بلا نتيجة ، وتنطوي نفسها على هم دفين وألم عميق ، وإن كانت تتظاهر بأن مسألة الذرية هذه لا تمر لها على بال ! وبالأمس القريب كان بيدي عدد من مجلة شهرية مصرية ، أصدرته إدارتها خاصاً بالربيع ، وحلت صدره بصورة فتاة جميلة باهرة الجمال ، تجوس خلال روضة حافلة بالأزهار والرياحين ، وحلت الصفحة الأخيرة منه بصورة جميلة لصبي في نحو الثالثة من عمره ، فمأريت أنا صورة الفتاة بجهاها وروعها ، حتى أدركني الحنين إلى نصفي الآخر ، فهتفت من الأعماق : ما أجمل هذه الصورة ؟ ! وكانت شقيقتي حينئذ تحدد النظر إلى صفحة الغلاف الأخرى ، إلى صورة الطفل الوسيم ، فاسمعتني أقول هذا حتى هتفت كأنها تعارضني : بل هذه الصورة أجمل منها ! ! . .

وهكذا أدركني شوق إلى الإليفة المرموقة فسيطر على تقديري فكان أن حكمت بأن صورة « الفتاة » أجمل صورة ، وسيطر على أختي حينها إلى الذرية فجعلها تحكم بأن « الصبي » أجمل صورة في الحياة ! .

كذلك أحكامنا في الغالب على ما يصادفنا من مسائل ومظاهر وحوادث في هذا الكون العريض الواسع ، لانظر إلى المسألة إلا من ناحية هوانا وغرضنا وحاجتنا . ومن هنا جاء اختلاف الناس الظاهر في أحكامهم على الأمور ،